6

شرح مختصر لقصيدة جواهر الحكم – الصف السادس

للأستاذ عبد الفتاح أمير

🕮 بين يدي النص والشاعر:

يُمثِّلُ الشِّعرُ العربيُّ رافدًا تربويًا مهمًا في توجيهِ الأجيالِ، وبناءِ عقولِهِم وصياغةِ تفكيرِهِم وتهذيبِ نفوسِهِم، وتأتي قصيدةُ أبي الفتحِ البُستيِّ والتي تُعرَفُ أيضًا بنونيَّةِ البُستيِّ في طليعةِ هـذا الأدبِ الرَّفيعِ، إذ تُعدُّ واحدةً من أندرِ قصائدِ الحِكمةِ وأبلغِها؛ لما اشتملت عليه من مواعظَ بليغةٍ ونصائحَ ثمينةٍ وحِكمٍ عظيمةٍ، فجاءت كلماتُها دعامةً للفكرِ القويمِ، وتأصيلًا للفضائلِ والقيمِ الإسلاميَّةِ، وتوجيهًا تربويًا يُعالجُ شؤونَ الحياةِ في شتَّى مجالاتِها.

والحق أنها قصيدة تفيض بالنصح والهداية والتبصير، ومع العذوبة والفصاحة والجزالة، وحسن الصنعة البلاغية الرشيقة، فهي كما قال ناظمها رحمه الله تعالى في أوائلها:

وأرع سمعك أمثالاً أفصلها كما يفصل ياقوت ومرجان

وهي أنطق دليل على رفعة أدبه، وبلاغة بيانه، وكياسة فكره، وصلاح نفسه، وقد ضمنها النصائح الغالية، والمواعظ البليغة الواعية، فهي لآلئ منثورة، وجواهر منظومة، وكل بيت منها حكمة مستقلة بنفسه، يغني عن قراءة رسالة أو كتاب، فهي من خير الشعر الحِكَميِّ وأبلغه.

ملخص شامل يجمع أفكار القصيدة في فقرة مترابطة ومنظمة:

تتمحور القصيدة حول بناء شخصية الإنسان من الداخل، حيث يؤكد الشاعر أن قيمة الفرد الحقيقية تكمن في جمال روحه وأخلاقه لا في مظهره الجسدي. ويحثنا "البستي" على التحلي بصفات النبل كـ الصفح عن المخطئ ومساعدة المحتاجين، مشددًا على أن التقوى والاستعانة بالله هما الركن الأقوى الذي يلجأ إليه الإنسان. كما يحذر من مغبة عمل الشر، ويدعو إلى القناعة كسبيل للسعادة، مختتمًا ببيان فضل العلم في ري العقول، وضرورة أخذ العبرة من تقلبات الزمن الذي لا يدوم فيه حال.

الفكرة العامة (جوهر النص):

التحلّي بمكارمِ الأخلاقِ، والارتقاء بالنفسِ بالقيمِ الروحيةِ والحِكمِ العمليةِ تضمنُ للإنسان السعادةَ والوقارَ في الدنيا.

الأفكار الرئيسة (تفصيل الأجزاء)

يمكن تقسيم الأبيات إلى أفكار رئيسة كالتالي:

١. **الأبيات (١-٢) :** حقيقةُ إنسانيةِ الإنسانِ تكمنُ في جوهرِ نفسِهِ وأخلاقِهِ (الصفح) لا في مظهرِ جَسدِه.

٢. **الأبيات (٣-٦) :** للتعاونِ مع الناسِ، والاعتصامِ بحبلِ اللهِ، والاستعانةِ بهِ وحدهُ في كلِّ الأمور أهمية كبيرة.

٣. **الأبيات (٧-٨) :** الجزاءُ من جنسِ العملِ، والرضا بالقناعةِ هو سبيلُ الراحةِ النفسيةِ.

٤. **الأبيات (٩-١٢) :** فضلُ العلمِ في ريّ العقولِ كبير، والحثُّ على استخلاصِ العِبَرِ من تقلباتِ الزمن واجب

البيت الأول: أقبِلْ على النَّفسِ واستكمِلْ فضائلَها ... فأنتَ بالنَّفسِ لا بالجِسمِ إنسانُ

يَدعو الشاعرُ المرءَ إلى العنايةِ بتهذيبِ روحِهِ وأخلاقِهِ، لأنَّ حقيقةَ جوهرِ الإنسانيَّةِ تكمنُ في العقلِ والخُلُقِ لا في القوةِ البدنيَّةِ.

البيت الثانى: وإنْ أساءَ مُسيءٌ فليَكُنْ لكَ فى ... عُروضِ زَلَّتِهِ صَفحٌ وغُفرانُ

يَحُثُّ الشاعرُ على مقابلةِ الإساءةِ بالتسامحِ والعفو، وأنْ يَتَّسِعَ قلبُكَ لمغفرةِ أخطاءِ الآخرينَ.

البيت الثالث: وكُنْ على الدَّهرِ مِعوانًا لذى أملٍ ... يرجو نَداكَ فإنَّ الحُرَّ مِعوانُ

يُشجِّعُ الشاعرُ على الكرمِ ومساعدةِ المحتاجينَ والملهوفينَ، معتبرًا أنَّ إغاثةَ الناسِ هيَ شيمةُ الأحرارِ.

البيت الرابع: واشدُدْ يديكَ بحَبلِ الدِّينِ مُعتَصِمًا ... فإنَّهُ الرُّكنُ إنْ خانَتْكَ أركانُ

يَنصحُ الشاعرُ بالتمسكِ القويِّ بتعاليمِ الدينِ، فهوَ الملجأُ الحصينُ والسندُ الدائمُ حينَ تخذلُكَ الأسبابُ الدنيويَّةُ.

البيت الخامس: -مَنِ استعانَ بغيرِ اللهِ فى طَلَبٍ ... فإنَّ ناصرَهُ عَجزٌ وخِذلانُ

يُقرِّرُ الشاعرُ أنَّ الاعتمادَ على غيرِ الخالقِ في قضاءِ الحاجاتِ يُؤدِّي إلى الفشلِ والضياعِ.

البيت السادس: مَن يزرعِ الشَّرَّ يَحصُدْ فى عواقبِهِ ... ندامةً. ولحصدِ الزَّرعِ إبّانُ

يُحذِّرُ الشاعرُ من فِعْلِ السوءِ، مؤكدًا أنَّ العاقبةَ ستكونُ حتمًا هيَ الندمَ في الوقتِ المقدرِ للجزاءِ.

البيت السابع: وذو القناعةِ راضٍ فى معيشتِهِ ... وصاحبُ الحِرصِ إنْ أثرى فغضبانُ

يُقارنُ الشاعرُ بينَ القنوعِ المستريحِ البالِ، وبينَ الطماعِ الذي لا يَشبعُ مهما زادَ مالُهُ.

البيت الثامن: يا أيُّها العالمُ المَرضىَّ سيرتُهُ ... أبشِرْ فأنتَ بغيرِ الماءِ ريَّانُ

يمدحُ الشاعرُ العالِمَ الذي يُطبِّقُ علمَهُ، ويُشبِّهُ عِلمَهُ بالماءِ الذي يَرْوي ظمأ العقولِ والنفوس.

البيت التاسع: ويا أخا الجَهْلِ لَوْ أصْبَحْتَ فى لُجَجٍ ... وأنتَ ما بينها لا شكَّ عطشانُ

يصفُ الجاهلَ بأنَّهُ محرومٌ من المعنى الحقيقيِّ للحياةِ، حتى وإنْ غرقَ في نعمِ الدنيا وكثرةِ مالِها.

البيت العاشر: لا تَحسَبَنَّ سُروراً دائماً أبداً ... مَن سَرَّهُ زَمَنٌ ساءَتْهُ أزمانُ

يُنبِّه الشاعرُ إلى أنَّ أحوالَ الدنيا متغيرةٌ، فلا الفرحُ يدومُ ولا الحزنُ يستمرُّ.

البيت الحادى عشر: خُذْها سوائرَ أمثالٍ مُهذَّبةً ... فيها لمَن يبتغى التبيانَ تِبيانُ

يختمُ الشاعرُ بدعوةِ القارئِ لتبنِّي هذهِ الحِكمِ والأمثالِ السائرةِ، لأنَّها تُوضِّحُ الحقائقَ لِمن يبحثُ عن الفهمِ.

ملاحظة عامة:

تجمع هذه الأبيات بين التربية الأخلاقية والحكمة العملية، وهي تهدف في مجملها إلى بناء شخصية متزنة تنفع نفسها وتساهم في رقي مجتمعها.

هذه القصيدة ليست مجرد أبيات تُحفظ، بل هي دليل تشغيل للحياة يساعدنا على العيش باتزان.

تُعد قصيدة "جواهر الحكم" لأبي الفتح البستي بمثابة خارطة طريق أخلاقية، ورأيي فيها أنها ليست مجرد أبيات شعرية للمدح أو الوصف، بل هي دستور عملي للحياة يتميز بالواقعية الشديدة.

الخلاصة:

النص في مجمله نص إصلاحي بامتياز، نجح الشاعر فيه في صياغة قيم ثقيلة بكلمات رشيقة سهلة الحفظ، مما جعلها "جواهر" حقيقية تتوارثها الأجيال.

الغرض الرئيس من النص:

النصح والإرشاد والحكمة؛ حيث يهدف الشاعر إلى توجيه الإنسان نحو سلوك طريق الفضيلة، وتهذيب النفس بالدين والعلم والقناعة، وبيان حقيقة الوجود الإنساني المرتبط بالروح لا بالجسد.

إعداد الأستاذ. عبد الفتاح أمير

تنسيق الأستاذ. شعبان فيض الطاهر